اجتهاداتُ القاسميّ في التفسيرِ اللغويّ للقرآنِ مِنْ خلال تفسيره (محاسن التأويل) ـ دراسة لغوية تحليلية ـ

أ.م.د. ماهر جاسم حسن الأومريّ
قسم أصول الدين
كلية الإمام الأعظم / العراق / نينوى

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/١١/١٤ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٣/١

ملخص البحث:

لتفسير القاسمي (محاسن التأويل) أثر واضح في الاجتهاد في التفسير اللغوي للقرآن، واتضحت اجتهاداته بأربعة مباحث : الإعراب ، ودلالة الألفاظ ، والبلاغة، والتفسير البياني. ويرى القاسمي أنّ في إعراب ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وجهين، الأول: صفة لـ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ، والثاني : معطوفة عليها ، وهو القول الراجح . وأنّ إعراب جملة ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ : عطف بيان ، أو عطف تفسير، والقول الراجح في إعرابها: جملة شرطية جوابها ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وذكر أنّ دلالة ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: طلائع النصر والقهر ، والقول الراجح : يوم القيامة، وأنّ دلالة ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: عَلَمٌ لكلّ أمّة كثيرة العدد مختلطةٍ من أجناس شتّى ، والقول الراجح : قبيلتان من بني آدم وسلالته . وذكر أنّ الغرض البلاغي من الخبر في : ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ : الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ،والقول الراجح : تقرير مضمون ما قبلها وتحقيق الجزاء يوم القيامة. وذكر جواز جعل (المجاز) بين كلمتي ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ، و ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ، والقول الراجح هو: المعنى الحقيقي ، ولا يحمل أحدهما على الآخر مجازاً. وبيّن بأن سبب إيثار الفعل ﴿ٱحْتَمَلَ﴾ على ﴿حَمَلَ﴾ : لزيادة في معناه ، وقوّة في مبناه ، ولكن المعنى البياني له: القوة والكثرة والمبالغة . وبأن سبب إيثار كلمة ﴿لَا يَحِلُّ﴾ على كلمة ﴿حُرِّمَ﴾: تكريم النبي ﷺ ، ولمناسبة الكلمة الأولى لمقامه دون الثانية .

Al-Qasimi's Discretion in the Linguistic Interpretation of the Quran Through his Interpretation (Mahasin Al-Ta'weel) An Analytic Linguistic Study

Assist. Proof. Dr. Mahir Jasim Al-Omary
Department of Principles of Religion
College of AL- Imam AL- Adham / Iraq / Nineveh

Abstract:

Al-Qasimi's interpretation of the Glorious Quran (Mahasin Al-Ta'weel) has a remarkable effect on the discretion in the field of linguistic interpretation of the Glorious Quran. His discretions have been come out through four fields of discussions which are parsing, reference, rhetoric and the rhetorical interpretation. Al-Qasimi is of the view that (والصلاة الوسطى) has two possible parsing cases. The first case is that (والصلاة الوسطى) is an adjective to (الصلاة) and the second case is that it is an antecedent to (الصلاة). The second possibility seems to have preponderance over the first one. As for the parsing of the sentence (ولكن من شرح بالكفر صدرا) he sees it either a synthetic explicative or an interpretative synthetic whereas it is a conditional sentence the result clause of which is (وعليهم غضب من الله). Al-Qasimi has mentioned that (الوعد الحق) refers to the signs of victory and conquer whereas the correct view is that it refers to the day of resurrection. He also states that (يأجوج ومأجوج) is a proper noun referring to any nation with numerous population and different races. The correct view is that (يأجوج ومأجوج) refers to two tribes of the children of Adam and his offspring. He has mentioned that the rhetorical purpose of the predicate in (أنهم لا يرجعون) is the declaring what upsets them and makes them regretful while it is probably a confirmation to what precedes it and fulfilling the punishment in the day of resurrection. Al-Qasimi has also referred to the possibility of using (البصير) and (العليم) interchangeably as a metaphor whereas they are probably used literally and when they are used as metaphor, they cannot be used interchangeably. He has shown that the preference of the verb (أحتمل) to the verb (حمل) is assigned to its additional meaning and its morphological strength but its rhetorical meaning refers to strength, enormousness and exaggeration. He also explains that the preference of the word (لا يحل) to the word (حرم) is that it is a kind of honoring to the prophet (peace be upon him) and the first word suits his position rather than the other.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

فعندما كنت أكتب أطروحتي للدكتوراه في التفسير اللغوي في (**محاسن التأويل**) للقاسمي [1] (ت ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م) وجدت فيه عدداً من المسائل اللغوية المتنوّعة اجتهد فيها القاسمي ، فأصبحت أقوالاً جديدة لم يسبق بها القاسمي من قبل ، فجمعتها كلّها فرأيتها جديرة بالبحث والدراسة ، فعقدت النيّة لذلك حتى جاء وقتها الآن لتصبح بحثاً متكاملاً بعد أن كانت أفكاراً قابلة للأخذ والردّ في دائرة الدراسات التفسيرية واللغوية .

إنّ اجتهادات القاسمي في هذا الميدان والبحث فيها ودراستها له من الأهمية بمكان في الدراسات اللغوية وإن كان أغلبها اجتهادات شاذة ومردودة كان شديد التكلّف في تأويلها؛ لكون القاسمي من مدرسة التفسير الحديثة التي اتسمت بالاجتهاد والتجديد، فأصبحت اجتهاداته في التفسير اللغوي للقرآن جديدة وهو أمرٌ قلّ من ينتبه إليه أحد ، لكون الاجتهاد والتجديد في التفسير اللغوي للقرآن في العصر الحديث يكاد يكون مخفيّاً لدى الدارسين في الوقت الحاضر، وهذا حاصل بالفعل ، إذْ لم أجد أحداً ذكر ذلك صراحةً ، وإنما وجدتُ إشارات غير صريحة وتلميحات لذلك ، لا تسمن ولا تغني من جوع ؛ لذلك جاء هذا البحث ليؤكد هذه القضية ، ويجعلها أمراً واقعاً في هذا العصر لدى المفسرين ومنهم القاسميّ، بل هو أمرٌ ممكن الوقوع في العصور القادمة أيضاً ما دامت اللغة العربية فيها خصائص التطور والتجديد ، ومواكبة العصر ، وهي لغة القرآن الكريم .

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

تكلمّت في المقدمة على أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة الدراسة ، ومنهجها ، وأهم المصادر .

أما التمهيد فتكلمت فيه على حياة القاسمي وسيرته العلمية ، وتفسيره (**محاسن التأويل**) ، وأثره في الاجتهاد في التفسير اللغوي للقرآن .

وأمّا المباحث الأربعة ، فكان المبحث الأول في : الإعراب ومسائل نحوية أخرى ، وكان المبحث الثاني في : دلالة الألفاظ القرآنية ومعانيها ، والمبحث الثالث في : مسائل بلاغية ، والرابع في: مباحث في التفسير البياني .

(١) كان موعد مناقشة الأطروحة يوم الأربعاء الموافق ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٣ م .

وكانت الخاتمة في أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

أمّا أهم المصادر التي استعملتها فكانت متنوعة ، فمنها التفاسير مثل **(جامع البيان)** للطبري (ت ٣١٠ هـ)، و **(المحرر الوجيز)** لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) ، و **(التفسير الكبير)** للرازي (ت ٦٠٤ هـ) ، و **(البحر المحيط)** لابن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) ، و **(روح المعاني)** للآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، وغيرها . ومنها كتب معاني القرآن ،مثل **(معاني القرآن)** للأخفش (ت ٢١٥هـ) ، و**(معاني القرآن وإعرابه)** للزجّاج (ت ٣١١ هـ) . ومنها كتب إعراب القرآن ، مثل **(إعراب القرآن)** للنحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، و **(التبيان في إعراب القرآن)** للعكبري (ت ٦١٦ هـ) . ومنها المعجمات اللغوية ، مثل **(كتاب العين)** للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، و **(مقاييس اللغة)** لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، و **(لسان العرب)** لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، و **(تاج العروس)** للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، وغير ذلك .

وكان منهجي العام الذي اتبعته في هذا البحث هو إيراد كلام القاسمي في المسألة ، وتوضيحه ، وتحليله ، وبيان اجتهاده فيها ، ثم مقارنتها بآراء المفسرين الآخرين ، ثم الوقوف على الرأي الراجح والأصوب فيها ، مع ذكر الأدلة والمرجّحات لها .

والحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد

أ ـ حياة القاسمي وسيرته العلمية :

هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي الحلاّق ، وهو من سلالة الحسين السبط ﷺ، ويعدّ أحد أعلام المسلمين في العصر الحديث ، وهو " حامل لواء التجديد في دمشق وما حولها على طريق الإصلاح الديني ، والدنيوي ، وهو أحد دعاة النهضة العلمية التي تعتمد على تفتّح الفكر والاجتهاد " [(١)] . كانت ولادته في دمشق سنة (١٢٨٣ هـ) ـ (١٨٦٦ م) [(٢)].

(١) جمال الدين القاسمي للدكتور نزار أباظة : ٩ . دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، (١٩٩٧م) .

(٢) ينظر : الأعلام للزركلي : ٢ / ١٣١ . ط ٣ ، (١٩٦٩ م) . ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٣ / ٥٧ . مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) . وجمال الدين القاسمي : ٦٥ ، ٩٣ ، وما بعدها .

ومن أهم شيوخه الذين أخذ عنهم : الشيخ حسن بن أحمد الدسوقي (ت ١٣٠٦ هـ) ، والشيخ أحمد بن محمد الحلواني ، شيخ قـرّاء دمشق (ت ١٣٠٧ هـ) ، والشيخ سليمان بن ياسين العطار ، وغيرهم.

ومن أهم تلاميذه : محمد عيد بن محمد القاسمي (ت ١٣٣٥ هـ)، والأستاذ محمد بهجة البيطار ، والشيخ محمد حامد الفقي العالم المشهور ، وغيرهم [١] .

والقاسمي على مذهب أهل السنة والجماعة ، وكان يتبعه ويدافع عنه ، ولم يتّبع مذهباً فقهياً معيّناً، بل انتخب مذهباً خاصّاً من مجموع المذاهب الأربعة ، وما رآه الحقّ والراجح فيها [٢].

أمّا أخلاقه وصفاته فقد كانت له شخصية قويمة ، وقد امتاز بالاستقلال بالرأي ، وعدم التعصب، وتحلّى بصفات الحلم ، والأناة ، والشجاعة في طلب الحقّ ، وكان آيةً في العمل الدؤوب، وآمتاز بنزاهة اللسان ، وشدّة التواضع ، وكان ورعاً تقياً ، عاملاً لدينه ، متجرداً عن الدنيا إلى غير ذلك من الصفات التي تجعله في صفوف العلماء العاملين الصالحين الذين جمعوا الأخلاق والآداب والعلم، والعمل [٣] .

وكان القاسمي موسوعة علمية كبيرة ، حريصاً على الإلمام بثقافة عصره ، وهو لم يشتهر بالتفسير فحسب ، وإنما بعلم العقائد ، والحديث ، والفقه وأصوله ، واللغة ، والأدب ، والفكر، وغير ذلك، ومؤلفاته الكثيرة خير شاهد على ذلك [٤] .

أما مؤلفاته فقد تنوّعت وتعدّدت منابعها ، وكثرت بسبب العلمية الموسوعية والثقافة الواسعة التي اكتسبها خلال عمره ، وقد وصلت مؤلفاته إلى المئة مؤلف تقريباً وهو لم يبلغ الخمسين من عمره ، ومن أهمها : تفسيره المشهور (**محاسن التأويل**) ، و(**أجوبة المسائل في الفقه**) وهو غير مطبوع، و(**تنبيه الطالب في معرفة الفرض والواجب في أصول الفقه**) وهو مطبوع، و (**شرح العقائد**) وهو مخطوط ، و (**قواعد التحديث في فنون مصطلح**

---

(١) ينظر : جمال الدين القاسمي : ٩٣ ، وما بعدها ، ١٧٩ ــ ٢٠٧. والقاسمي ومنهجه في التفسير: ٣٤ ، ٢٢٦ ، وما بعدها ، رسالة ماجستير للطالب حسين علي القيسي ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، (١٩٩٠ م) .

(٢) ينظر : جمال الدين القاسمي : ٣٠٥ ــ ٣٢٢ ، والقاسمي ومنهجه في التفسير : ١٨٤ . والتفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي للدكتور ماهر جاسم الأومريّ : ٥١ ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، بغداد ، ط ١ ، (٢٠١٠ م) .

(٣) جمال الدين القاسمي : ١٥٩ ــ ١٧٤ . والقاسمي ومنهجه في التفسير : ٢٠ ، وما بعدها .

(٤) جمال الدين القاسمي : ٩٨ ــ ١٤٧ . والقاسمي ومنهجه في التفسير : ٢٥ .

الحديث) ، وهو مطبوع و (**إصلاح المساجد من البدع والعوائد**) ، وهو مطبوع ، إلى غير ذلك من مؤلفاته الكثيرة [١] .

توفي ــ رحمه الله ــ في دمشق سنة (١٣٣٢ هــ) ــ (١٩١٤ م) ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق [٢] .

هذا ما وسع ذكره عن حياة القاسمي ، وسيرته العلمية ، وهو غيض من فيض ، فلا تكفيها هذه الأسطر ، ولم نطل الكلام عليها ؛ لأنّ هذه الدراسة لم تخصص لذلــك ، وإنّما خُصصت للكلام على اجتهاده في التفسير اللغوي .

ب ـ تفسيره (محاسن التأويل) وأثره في الاجتهاد في التفسير اللغوي للقرآن:

يقع تفســير القاسمي المُسمّى بــ (**محاسن التأويل**) في سبعة عشر جزءاً ، وقد طُبع في سنة (١٩٥٧ م) ؛ إذ قامــت دار إحياء الكتب العربية بنشــره بعد طبعــه لأول مــرّة بعناية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي الذي قام بتخريج آياته ، وأحاديثه ، والتعليق عليها .

وتفسير القاسمي تفسير كامل للقرآن الكريم ، فسّر فيه الســور ، والآيات القرآنية حــسب ترتيبها في المصاحف ، وسار فيها على قاعدة عامة هي ما يراه أقرب الأقوال ، وأحسنها في تفسير الآيات من بين التفاسير التي استطاع أن يطّلع عليها، قال: " وقاعدتنا التي انتهجناها في هذا التفسير أن نؤثر في معاني آياته أحسن ما قيل فيها ، فلذلك سمّيناه (**محاسن التأويل**) [٣].

وتفسير القاســمي جامع في منهجه بين التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي مع آهتمامــه الشديد بالتفسير بالمأثور ، وتفضيله على غيره ؛ لذلك كان المنهج الغالــب في تفسير القاسمي هو التفسير بالمأثور ، ولكن مع هذا فهو يُعنى عنايةً بالغة بالتفسير بالرأي ، أو الاجتهاد على وفق ضوابط التفسير المقررة ، وعني أيضاً ببيان وجوه إِعجاز القرآن الكريم وبلاغته ، وبيّن المعاني اللغوية للكلمات ، ووجوه القراءات ، وأسباب النزول، وعُني ببيان اللطائف والتنبيهات التي تتعلق بالآية ، مثل المسائل البلاغية ، والمسائل العلمية ، والتفسيرات الإشارية المقبولــة وعلوم أخرى كالسيرة النبوية ، والحوادث التاريخية ، وقصص الأنبيــاء ، وغير ذلك ؛ لذلك

---

(١) ينظر : الأعلام ٢ / ١٣١. ومعجم المؤلفين : ٣ / ١٥٧ ، ١٥٨ . وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار : ١ / ٤٣٥ ، وما بعدها ، تحــ : محمد بهجة البيطار، (د . ط) ، (١٩٦١ م) . وجمال الدين القاسمي : ٢٥١ ــ ٢٨١ . والقاسمي ومنهجه في التفسير : ٣٥ ، وما بعدها . والتفسير اللغوي في محاسن التأويل : ٥٣ ــ ٥٦ .

(٢) ينظر : الأعلام : ٢ / ١٢٣١ . ومعجم المؤلفين : ٣ / ١٥٧ . وجمال الدين القاسمي : ١٤٨ . والقاسمي ومنهجه في التفسير : ٢٤ .

(٣) تفسير القاسمي المسمّى بــ (محاسن التأويل) : ٢ / ٢٤٤ ، دار الفكر ، ط (٢) ، (١٩٧٨ م) .

جاء تفسيره متنوعاً في أسلوبه ، موسوعياً لم يهمل أيّ جانب من جوانب التفسير الجائز ، والعلوم الشرعية ، والمعارف العلمية العامة ، وهذا نابع من ثقافته الموسوعية المتنوّعة التي اكتسبها خلال حياته (١) .

لتفسير القاسمي أثر واضح في التفسير اللغوي للقرآن ، وأحد الأسباب الرئيسة لهذا الأثر الواضح هو ثقافته اللغوية ، وعلمه بعلوم اللغة من نحو ، وصرف ، وأدب ، وفنون لغوية أخرى اكتسبها خلال حياته ، سواء من شيوخه وعلماء عصره أو من اجتهاداته، واستنباطاته اللغوية (٢) .

وليس لتفسيره أثر في التفسير اللغوي فحسب وإنما له أثر واضح أيضاً في الاجتهاد في هذا الميدان ، الذي هو موضوع هذه الدراسة ، ولعل أحد أسباب ذلك ما ذكرناه آنفاً بأنه كان أحد قادة التجديد ، والإصلاح الديني ، والعلمي في حياته ، وذلك يعتمد على تفتّح الفكر ، والاجتهاد (٣) ، وقد وصفه الشيخ محمد رشيد رضا بأنه : " المجدّد لعلوم الاسلام " (٤) ، فقد انعكس ذلك على منهجه اللغوي في التفسير فكان أن ظهر له اتجاه اجتهاديّ وتجديدي في التفسير اللغوي للقرآن .

إنّ اجتهاد القاسمي في هذا الميدان يدخل ضمن منهجه في التفسير بالرأي المحمود والجائز، والمنضبط بالضوابط الشرعية ، واللغوية ، وبخاصة في التفسير البياني الذي ظهر فيه الاجتهاد واضحاً في المدرسة الحديثة في التفسير التي ينتمي إليه القاسمي ، يُزاد على ذلك المسائل النحوية والدلالية والبلاغية ، وغير ذلك مما يدخل في التفسير اللغوي للقرآن ، ويعدّ كل مبحث من مباحث الاجتهاد التي سنتكلم عليها جانباً بارزاً في التفسير اللغوي .

لقد استعمل القاسمي عدداً من المصطلحات في اجتهاداته اللغوية في التفسير التي تؤيد هذا الاتجاه عنده وتؤكّده ، من ذلك : (سنح لي وقوي بعد تمعّن) (٥) ، و (فتبصّر ولا تكن أسير

---

(١) القاسمي ومنهجه في التفسير : ٢٥ ، ٧٤ ــ ٧٥ .

(٢) القاسمي ومنهجه في التفسير : ٢٦ ــ ٣٤. وينظر : التفسير اللغوي في محاسن التأويل : ٥٩ ــ ٦٢ .

(٣) ينظر : ص ٣ من هذا البحث .

(٤) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي (مقدمة المحقق) : ١١ ، تحـ : محمد بهجة البيطار ، دار إحياء الكتب العربية ، ط (٢) ، (١٩٦١ م) . وينظر : الدرس النحوي في تفسير القاسمي : ١٠ ، رسالة ماجستير للطالب ضياء حميد الشجيري ، جامعة بغداد ، (٢٠٠٠ م) .

(٥) محاسن التأويل : ٣ / ٢٨٦ .

التقليد)[1] ، و (يظهر لي)[2] ، و (عندي)[3] ، و(لم أرَه لأحد)[4] و (لم أرَ أحداً نبّـه عليه)[5] ، و (يلوح لي)[6] ، وما شابه ذلك .

وقد اتضحت اجتهادات القاسمي في التفسير اللغوي بأربعة مباحث أساسية وهي :

المبحث الأول : الإعراب ومسائل نحوية أخرى .

المبحث الثاني : دلالة الألفاظ القرآنية ومعانيها .

المبحث الثالث : مباحث بلاغية .

المبحث الرابع : مباحث في التفسير البياني .

ويمكن الكلام على هذه المباحث بالتفصيل كما يأتي :

المبحث الأول
الإعراب ومسائل نحوية أخرى

ذكر القاسمي رحمه الله ــ عدداً من المسائل الخاصة بالإعراب ، ومسائل نحوية أخرى لدى تفسيره النصوص القرآنية ، وتدلّ هــذه المسائل على اجتهاده وتجديده في التفسير اللغوي للقرآن في مجال النحو ، والإعراب .

ويمكن ذكر أهم هذه المسائل الخاصة بهذا المجال ، ونحيل الأمثلة الأخرى إلى مواضعها في (**محاسن التأويل**) ، وأهمها مسألتان :

أ ــ إِعراب ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ .

ب ــ إِعراب جملة ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ .

ويمكن تفصيل الكلام عليهما بما يأتي :

(١) م . ن : ٥ / ٣٢٥ .
(٢) م . ن : ٩ / ٣٥٢ .
(٣) م . ن : ١٠ / ١٥٦ .
(٤) م . ن : ١٠ / ١٦٣ .
(٥) م . ن : ١٣ / ٢٨٩ .
(٦) م . ن : ١٧ / ٣١٠ .

أ ــ إِعراب ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ :

بيّن القاسمي المحل الإعرابي لهذا الجزء من قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (١) بأن إعرابها : صفة لـ ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ؛ إذ قال " " ثم سنح (٢) لي احتمال وجه آخر ، وهو أن يكون قوله ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ أُريد به توصيف الصلاة المأمور بالمحافظة عليها بأنها : فضلى ، أي : ذات فضل عظيم عند الله . فالوسطى بمعنى (الفُضلى) من قولهم للأفضل : الأوسط . وتوسيط (الواو) بين الصفة والموصوف ممّا حققه الزمخشري ، واستدلّ له بكثير من الآيات ... فكأنه أشار إلى أنّ المعطوف عينُ المعطوف عليه . إلاّ أنه أتى بجملة تفيد التوصيف " (٣) .

فقد اتضح من كلامه بأن قوله ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ صفة للموصوف الذي هو ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ، وأنّ (الواو) وقعت متوسطة ، وفاصلة بينهما ، وأنّ معنى ﴿ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ : الفضلى ، فيكون المعنى : حافظوا على الصلوات ذات الفضل العظيم عند الله .

وذكر أيضاً أنّ مسألة فصل الصفة عن الموصوف بالواو ، ووقوعها متوسطة بينهما هو من قواعد لغة العرب ، وأصولها ، وأنّ الزمخشري هو من حقّق هذه المسألة ، واستدلّ لها بعدد من النصوص القرآنية (٤) .

إنّ إيراد القاسمي هذا الإعراب لهذا الجزء من الآية هو إعراب جديد لم يسبق به من قبل ، ولم يذكره أحد قبله من المفسرين ، أو اللغويين ، أو النحاة ، ممّا يدلّل على اجتهاده وتجديده في التفسير اللغوي في مجال الإعراب ، وقد أكّد هذا بقوله في أول كلامه : " وقد سنح لي احتمال وجه آخر " .

وممّا ينبغي ذكره في هذا المجال ما ورد عن عائشة (ت ٥٨ هـ) ، وابن عباس (ت ٦٨هـ) ﵃ وغيرهما ، بأنّ النبي ﷺ كان يقرأ: ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَصَلاةِ العَصْرِ ﴾ ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ .

(٢) يُقال : سَنَحَ لي رأي ، أي : عَرَضَ وظَهَرَ . القاموس المحيط : ١ / ٢٣٠ (السُّنح) ، دار الفكر ، (د . ط) . (١٩٩٣ م) .

(٣) محاسن التأويل : ٣ / ٢٨٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ١ / ٣٧٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) . لدى تفسيره الآية (١٩) من سورة آل عمران . ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري : ٤٧٧ ، دار الفكر ، ط (٦) ، (١٩٨٥ م) .

وهي قراءة شاذة [١] ، وما ذكره عدد من المفسرين فيها بأن (**صلاة العصر**) عطفت على ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ عطف صفات ، وليس عطف ذوات ، وهذا يقتضي أن تكون (**صلاة العصر**) هي نفسها ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وأنّ (الواو) بينهما توسطت بين الصفة والموصوف ، وغير ذلك مما قيل فيها [٢] ، فإنّ هذا لا يُناقض ما قلناه آنفاً في المسألة التي ذكرها القاسمي في عطف ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ على ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ، عطف وصف لها ، وأنه لم يُسبق بهذا الرأي من قبل ، وأنه رأي جديد في إعراب الآية ، وسبب ذلك ما يأتي :

١ ــ إنّ عطف الوصف الوارد في هذه القراءة متمثل في قوله : ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَصَلَاةِ العَصْرِ﴾ ، وليس في قوله ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ التي هي موضوع البحث .

٢ ــ إنّ عطف الوصف المذكور وارد في القراءة الشاذة ، وليس في القراءة المتواترة التي هي موضوع البحث ، والتي لم يرد فيها ذكر (صلاة العصر) .

وقد ذكر القاسمي لدى تفسيره ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ رأياً آخر عدَّه تفسيراً جديداً عبّر عنه بقوله : " سنح لي ، وقَوِيَ بعد تمعّن في أواخر رمضان سنة ١٣٢٣ هـ " ، بأن معناها : الصلاة ذات الأداء المتوسط ، لا الطويلة المملّة ، ولا القصيرة المُخلّة ، أي : المتوسطة بين الطول والقصر ، وذكر بأن هذا القول حكاه الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) في القاموس المحيط ، حيث ساق الأقوال في الآية [٣] ، ووصف القاسمي هذا التفسير بقوله: " جيد جداً " فكأنه يميل إلى هذا القول ، ويرجّحه [٤] .

وهذا يعني ــ بعد إيضاح ما سبق ــ أنّ القاسمي لا يجعل قوله : ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صفة لـ ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ، وأنّ (الواو) للعطف ، وليست فاصلة بين (الصفة) و (الموصوف) ، والعطف يقتضي المغايرة ، فيكون قوله ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ عطفاً على ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ، وهذا يختلف عن الإعراب الذي ذكره آنفاً ، ويعدّ إعراباً آخر في الآية .

---

(١) مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه : ١٥ ، دار الهجرة ، (د . ط) ، (د . ت) .
(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١ / ٢٩٤ ، دار الفداء ، بيروت ، (١٤٠١ هـ) . ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : ٦٣٩/١ ، دار الكتب العلمية ، (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م) .
(٣) ينظر : القاموس المحيط : ٢ / ٣٩١ (الوسط) .
(٤) ينظر : محاسن التأويل : ٣ / ٢٨٣ ــ ٢٨٦ .

والذي يبدو لي ــ والله أعلم ــ بعد عرض كلّ ما سبق أنّ القول الراجح والأصحّ في إعراب قوله ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ بأنها معطوف على قوله ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ عطف مغايرة ، وليس عطف وصف ، وأنّ (الواو) حرف عطف يفيد المغايرة ، وليس متوسطاً ، وفاصلاً بين الصفة والموصوف ؛ وذلك لما يأتي :

١ ــ إنّ القول الراجح في تفسير ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ ــ فيما يبدو لي ــ أنها : صلاة العصر ؛ لما ورد في الصحيحين عن عليّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : ((**شَغَلُونا عَنِ الصَلاةِ الوُسْطَى صَلاةِ العَصرِ ، مَلأَ اللهُ بُيوتَهُمْ ، وقُبُورَهُمْ نَاراً**)) ، ثمَّ صلاَّها بين العشاءَيْنِ بين المغربِ والعشاءِ [1] . وهو قول جمهور المفسرين ، وأكثرهم ، والصواب من جميع الأقوال ، وأصحّها [2]، وإذا تعيّن ذلك فتكون ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ معطوفة على ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ، وليست صفة لها .

٢ ــ من اللغويين من ذكر بأنّ (الواو) من معانيها في الآية : التخصيص ، وأنها إذا كانت كذلك فهي دالّة على فضل الذي تخصصه، وهذا القول ذكره الزجّاج (ت ٣١١هـ) ، واستشهد له بقوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[3] بأنّ الآية خصصّت ﴿ جِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ من بين الملائكة [4] ، وإذا تعيّن ذلك فتكون ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ هي (صلاة العصر) خصّت من بين الصلوات لفضلها وتشريفها على غيرها من الصلوات [5] ، وبذلك تكون ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ عطفاً على ﴿ ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ وليست صفة لها .

(١) الجامع الصحيح للبخاري : ٥ / ٢٣٤٩ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، تحـ : د . مصطفى ديب البغا ، ط (٣) ، (١٩٨٧ م) . وصحيح مسلم : ١ / ٤٧٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د . ط) و (د . ت) .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري : ٢ / ٥٦٦ ، دار الفكر ، (١٤٠٥ هـ) . ومعالم التنزيل للبغوي : ١/ ٢٢٠ ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ت) . وفتح القدير للشوكاني : ١/ ٢٥٦ ، دار الفكر ، (د . ط) ، (د . ت) . وغيرهم .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩٨ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١ / ٢٧٤ ، تحـ : د . عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، (د . ط) ، (٢٠٠٥ م) .

(٥) ينظر : الكشاف : ١ / ٣١٥ . والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي : ١ / ٣٢٢ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط (١) ، (١٩٩٣ م) . وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي : ١ / ٥٣٦ ، دار الفكر ، (د . ت) . وغيرهم .

ب ــ إعراب جملة ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ :

بيّن القاسمي المحلّ الإعرابي لهذه الجملة لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (١)، بأنها (بمثابة عطف البيان ، أو عطف التفسير)، وذكر فائدتها بأنها : (رجوعٌ إلى صدر الآية وحكمها ، بأسلوب مبيّن لمن كفر ، موضحٌ له) (٢) ، ويقصد بذلك : أنها جملة معطوفة على بدايـــة الآية وهي قوله : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ ﴾ تفيد التبيين والتوضيح لها، ولحكمها . ثم ذكر ما يـــدلُّ على اجتهاده في هـــذا الإعراب الذي لم يذكره أحد قبله من المفسرين والنحويين ، قال : (وهذا الوجه من الإعراب لم أرَه لأحد ، ولا يظهر غيره لمـــن ذاق حلاوة أسلوب القرآن) (٣) .

ولدى رجوعنا إلى المفسرين قبله وبخاصة اللغويون ، والنحويون منهم نـــرى أنهـــم لـــم يذكروا هذا الأعراب ، وإنما ذكروا له وجوهاً أخرى ، مما يدل على اجتهاده النحوي في هذا المجال، ويمكن إجمال أقوالهم بما يأتي :

١ ــ وجه بأنها : جملـــة شرطية مركبـــة من الشـــرط ﴿ مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ وجوابـــه ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وهـــو قول كثير من المفســـرين والنحوييـــن ، منهم : الزمخشري (٤) ، وابن الجوزي وذكر بأنه قول الكوفيين (٥)، والرازي (٦)، والنسفي (٧) ، وابن جزي (٨) ، وأبو حيّان (٩) ، والشوكاني بصيغة (قيل) (١٠) ، والآلوسي (١١) .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ .
(٢) محاسن التأويل : ١٠ / ١٦٣ .
(٣) م . ن : ١٠ / ١٦٣ .
(٤) الكشاف : ٢ / ٥٩٤ .
(٥) زاد المسير في علم التفسير : ٤ / ٤٩٦ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط (٣) ، (١٤٠٤هـ) .
(٦) التفسير الكبير : ٢٠ / ٩٧ ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، (٢٠٠٠ م) .
(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢ / ٢٧٢ ، دار الفكر ، (د . ت) .
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٦٢ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط (٤) ، (١٩٨٣ م) .
(٩) تفسير البحر المحيط : ٥ / ٥٢٠ ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، (٢٠٠١ م) .
(١٠) فتح القدير : ٣ / ١٩٧ .
(١١) روح المعاني : ١٤ / ٢٣٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٢ ــ وجه بأنها: جملة اسمية مركبة من المبتدإ﴿مَّن شَرَحَ ﴾ ، وخبره ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ ، وقد ذكره الأخفش (ت ٢١٥) [١] ، ومكيّ بن أبي طالب (ت ٣٥٥ هــ) [٢] ، وابن عطية بأنه قول فرقة من النحويين [٣] ، والعكبري [٤] .

٣ ــ وجه بأنها : جملة دالّة على جواب الشرط الأول ﴿ مَن كَفَرَ ﴾ ، أو على خبرها إذا أعربت مبتدأً . وقد ذكره الجلالان ، المحليّ (٨٦٤ هــ) ، و السيوطي [٥] .

٤ ــ وجه بأنها : استدراك على الاستثناء في قوله ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ ، وفائدتها : (أنهــا احتراس من أن يفهم من الاســتثناء أنّ المكرَه مرخّص له أنْ ينســلخ عن الإيمان من قلبه) . وقد ذكر هذا الوجه ابن عاشور [٦] .

ويبدو لي بعد عرض هذه الأقوال أنّ القول الراجح ــ والله أعلم ــ هو القول الأول ، أي هي : شرط وجوابه ؛ وذلك لما يأتي :

١ ــ إنه قول كثير من المفسرين والنحويين كما سبق .

٢ ــ إنّ هذه الجملة هي جملة مستقلة ، معطوفة على ما قبلها ، مركبة من حرف الآستدراك ﴿ لَكِن ﴾ ، وفعل الشرط ﴿مَنْ شَرَحَ ﴾ ، وجوابه ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ ، والــدليل على ذلك وجود (الفاء) الرابطة لجواب الشرط التي لا تدخل إلاّ على الجواب، ويُؤتى بها في الجملة الشرطية [٧] ؛ لذا فإنّ هذا الوجه أقرب إلى فهم النص القرآني ، وأكثــر وضوحاً له من الأقوال الأخرى .

(١) معاني القرآن : ٢ / ٤١٨ ، تحــ : د . هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط (١) ، (١٩٩٠ م) .
(٢) مشــكل إعراب القرآن : ١ / ٤٢٥ ، مؤسسة الرسالة ، تحــ : د . حاتم صالح الضامن ، ط (٢) ، (١٠٤٥ هــ) .
(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٣ .
(٤) التبيــان في إعراب القرآن : ٨٠٧/٢ ، تحــ : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، (١٩٧٦ م) ، (د . ط) .
(٥) تفسير الجلالين : ١ / ٣٦١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط (١) ، (د . ت) .
(٦) تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ١٨٣ ، دار سحنون ، تونس ، (د . ط) ، (١٩٩٧ م) .
(٧) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢١٧ .

وللقاسمي أمثلة أخرى في مجال الاجتهاد في التفسير اللغوي من حيث الإعراب ، ومسائل نحوية أخرى [١] .

المبحث الثاني
دلالة الألفاظ القرآنية ومعانيها

ذكر القاسمي _ رحمه الله ــ عدداً من دلالات الألفاظ القرآنية ، ومعانيها مما يدخل تحت اجتهاده في التفسير اللغوي للقرآن ، ويعدّ بيان دلالة المفردة القرآنية جانباً أساسياً في التفسير اللغوي .

ويمكن ذكر أهــم المواضع التي بيّن فيها القاسمي دلالة الألفــاظ ، ومعانيها في تفــسيره **(محاســن التأويل)** ، والتي توضح اجتهــاده في هذا المجال ، ونحيــل الأمثلة الأخرى إلى مواضعها في (محاسن التأويل) ، وهما :

أ ــ دلالة ﴿ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ ومعناه .

ب ــ دلالة ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ومعناه .

ويمكن تفصيل الكلام عليهما بما يأتي :

أ ــ دلالة ﴿ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ ومعناه :

ذكر القاسمي دلالة هذا التركيب القرآني [٢] لدى تفسيره لقوله تعــالى : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [٣] ، بأنّ معناه : طلائع النصر والقهر ،

---

(١) ينظر مثلاً : ٢ / ٨٥ ، سورة البقرة ، الآية : (٢٦) ، ٦ /٤٧٦ ، سورة الأنعام ، الآية : (١٤) ، ١١ / ١٣ . سورة الكهف ، الآية : (١٤) ، ١١ / ٢٩٣ ، سورة الأنبياء ، الآية : (٩٥) ، وغيرها.

(٢) هو (كل كلام مركّب من عدّة أجزاء ؛ ليدلّ على معنىً مركّب واحد لا يدل كل جزء منه على حِدة على جــزء المعنى في التركيب القرآني ، ويشــكل هو ودلالة الألفاظ المفردة المادتين الأساسيتين للدراسات الدلاليــة للقرآن) . المصطلح اللغــوي في القرآن الكريم ، ص : ٥ . وما بعدها للدكتور محيي الدين توفيق ، جامعة الموصل ، دار ابن الأثير للطباعة والنشر ، (د . ط) ، (٢٠٠٧ م) ، ودلالة التراكيب في سورة الكهف من خلال تفسير الجلالين للدكتور ماهر جاسم الأومريّ ، ص:٧٣ ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل ، مج (٦) ، ع (١) ، تشرين الثاني (٢٠٠٧م).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٧ .

وأنّ معنى ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ : (طلعت طلائع النصر والقهر ، ودحر الباطل والكفر) [١] . وهو تفسير جديد لهذا التركيب دالٌّ على اجتهاد القاسمي في التفسير اللغوي .

ولو رجعنا إلى المفسرين القُدامى ، والمحدثين ، على مختلف مدارسهم في التفسير لا نرى هذا المعنى عندهم ، بل ذكروا له معاني أخرى ، وهو ما يؤكد التفسير الجديد الذي ذكره القاسمي في الآية ، ويمكن إجمال أقوالهم في دلالة هذا التركيب بما يأتي :

١ ــ قول بأن معناه : يوم القيامة . وهو قول كثير من المفسرين منهم : ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هــ) [٢] ، والطبري (ت ٣١٠هــ) [٣]، والواحدي (ت ٤٦٨ هــ) [٤] ، والبغوي (ت ٥١٠ هــ) [٥] ، وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هــ) [٦] ، والرازي (ت ٦٠٤ هــ) [٧] ، والقرطبي (ت ٦٧١ هــ) [٨] ، والنسفي (ت ٧٠١ هــ) [٩] ، وابن جزي الغرناطي (ت ٧٤١ هــ) [١٠] ، وابن كثير (ت ٧٧٤ هــ) [١١] ، وابن عاشور (ت ١٣٩٤ هــ) [١٢] ، وغيرهم .

٢ ــ قول بأن معناه : البعث الحقُّ . وهو قول مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هــ) [١٣]، وأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٥٤ هــ) [١٤] .

٣ ــ قول بأن معناه : ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ، لا النفخة الأولى . وهو قول أبي السعود (ت ٩٥١ هــ) [١٥] ، والآلوسي (ت ١٢٥٠ هــ) [١٦] .

(١) محاسن التأويل : ١١ / ٢٩٤ .
(٢) تفسير غريب القرآن : ٢٨٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٧٨ م) .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٧ / ٩٢ .
(٤) الوجيز في تفسير القرآن العزيز : ٢ / ٧٢٤ ، دار القلم ، ط (١) ، (١٤١٥ هــ) .
(٥) معالم التنزيل : ٣ / ٢٦٩ .
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤ / ١٠٠ .
(٧) التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٢ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ٣٤٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .
(٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ٩١ .
(١٠) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ٣ / ٣٢ .
(١١) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٩٨ .
(١٢) التحرير والتنوير : ٩ / ٢٠٨ .
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان : ٢ / ٣٦٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، (٢٠٠٣ م) .
(١٤) تفسير البحر المحيط : ٦ / ٣١٥ .
(١٥) إرشاد العقل السليم : ٦ / ٨٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .
(١٦) روح المعاني : ١٧ / ٩٢ .

٤ ــ قول بأن معناه : ما بعد النفخ من الحساب ، وهو القول الأول للشوكاني (ت١٢٥٠هــ) [١].

ويبدو لي بعد عرض هذه الأقوال الكثيرة أنّ القول الراجح منها هو القول الأول بأن معناه : يوم القيامة ؛ وذلك لسببين :

الأول : أنه قول كثير من المفسرين كما ذكرنا .

الثاني : أنّ سياق الآية ، والتي قبلها [٢] قد ورد في يوم القيامة وبخاصة الآية السابقة ؛ إذْ ربطت اقتراب الوعد الحق وقرنته بفتح يأجوج ومأجوج ، وجعلت خروجهم عَلَماً على قرب قيام الساعة [٣] . وليس سياق الآية في نصر الرسل على أعدائهم ، وقهرهم لهم كما ذكره القاسمي . كما أنّه أدقّ من الأقوال الأخرى ، وأوضح منها ، وأقربها إلى معنى الآية .

ب ــ دلالة ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ومعناه :

ذكر القاسمي دلالة هذا الجزء من الآية لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ [٤] ، بأنّ معناه : عَلَم لكلِّ أمة كثيرة العدد مختلطة من أجناس شتّى [٥] . وهو أيضاً تفسير جديد ــ كما سنرى ــ لهذا الجزء من الآية ، لم يذكره أحد من المفسرين قبله .

ولو رجعنا إلى المفسرين القُدامى ، والمحدثين لوجدنا أنهم ذكروا له معاني أخرى غير المعنى الذي ذكره القاسمي ــ رحمه الله ــ ، ويمكن إجمال أقوالهم بما يأتي :

١ ــ قول بأن معناه : أَخَوان ، أو قبيلتان من ولد يافث بن نوح . وهو قول كثير من المفسرين ، منهم : مقاتل [٦] ، والقول الأول للزمخشري (ت ٥٣٨ هــ) [٧] ، والقول

(١) فتح القدير : ٣ / ٤٢٦ .
(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ .
(٣) ينظر : في ظلال القرآن لسيد قطب : ١٦ / ٥٨ ، ط (١) ، دار إحياء الكتب العربية ، (د . ت) . وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني : ٢ /٢٣٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط (١) ، (٢٠٠٤ م) .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٦ .
(٥) محاسن التأويل : ١١ / ٩٤ .
(٦) تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٠ .
(٧) الكشاف : ٢ / ٢٩٦ .

الأول لابن الجوزي (ت ٥٩٧هــ)[١] وهو قول ابن عباس ــ رضي الله عنهمــا ــ ، والقرطبي [٢] ، والقول الأول للبيضاوي (ت ٦٨٥ هــ) [٣] ، وهو القول الثاني لأبي حيّان الذي ذكره بصيغة (قيل) [٤] ، وهو القول الأول لأبي السعود [٥] ، والآلوسي[٦]، وغيرهم .

٢ ــ قول بأن معناه : يأجوج من الترك ، ومأجوج من الجيل [٧] والديلم [٨] . وهو قول عدد من المفسرين منهم : الزمخشري وهو القول الثاني له الذي ذكره بصيغة (قيل) [٩] ، والقول الثاني للرازي الذي ذكره بصيغة (قيل) أيضاً [١٠] ، والقول الثاني للنسفي [١١]، والقول الثاني لأبي السعود بصيغة (قيل)[١٢]، والقول الثاني للشوكاني بصيغة (قيل) أيضاً [١٣] ، وغيرهم .

٣ ــ قول بأن معناه : قبيلتان من بني آدم وسلالته ، وهو قول عدد من المفســرين ، منهم : ابن عطية [١٤] ، وابن جزي [١٥] ، وأبو حيــان وهو القول الأول له [١٦] ، وابن كثير ، وجعله القول الراجح [١٧] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير : ٥ / ١٩٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ٥٦ .
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣ / ٥٢٢ .
(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٥٤ .
(٥) إرشاد العقل السليم : ٥ / ٢٤٥ .
(٦) روح المعاني : ١٦ / ٣٨ .
(٧) **الجِيــل** : بالكسر : إقليم بالعجم معرَّب كَيْــلان ، وقومٌ رتّبهم كِسْرى بالبحرين . القاموس المحيط : ٣ / ٣٥٣ (الجيل) .
(٨) **الديلم** : جيل من الناس معروف يسمّى الترك . لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٢٠٤ (دلم) ، دار صادر ، بيروت ، ط (١) ، (د . ت) .
(٩) الكشاف : ٢ / ٦٩٦ .
(١٠) التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٥ .
(١١) مدارك التنزيل : ٣ / ٢٦ .
(١٢) إرشاد العقل السليم : ٥ / ٢٤٥ .
(١٣) فتح القدير : ٣ / ٣١٢ .
(١٤) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٢ .
(١٥) التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٩٦ .
(١٦) البحر المحيط : ٦ / ١٥٤ .
(١٧) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٠٤ .

٤ ــ قول بأن معنـــاه : جيلٌ من الترك ، وقد ذكـــره ابن الجــوزي في تفسيره ، وهو قول الضحاك (ت ١٠٥ هــ) ، والسُّدّي (ت ١٢٧ هــ) [١]، والقول الأول للرازي الذي ذكـــره بصيغة (قيل) [٢] ، وذكره أبو حيـــان بأنه قول الضحاك ، والسُّدّي ، وقتـــادة (ت ١١٧ هــ) [٣] .

٥ ــ قول بأن معناه : أمّتان من وراء السدّ . وهو قول الطبري [٤] .

٦ ــ قول بأن معناه : اسمان لرجلين . وهو القول الذي ذكره السيوطي (ت ٩١١ هــ) في تفسيره [٥] .

٧ ــ قول بأن معناه : المغول والتتر . وهو القول الذي رجّحه ابن عاشور [٦] .

ويبدو لي بعد عرض هذه الأقوال أن القول الراجح ــ والله أعلم ــ هو القول الثالـــث ، أي : (قبيلتان من بني آدم وسلالته) ، وهو ما رجّحه ابن كثير ــ رحمه الله ــ ؛ وذلك لمـــا يأتي :

١ ــ أنّ معنى هذا القول قد ورد في حديث صحيح الإسناد بأن الله تعـــالى ينـــادي آدم عليه السلام فيقول : ((**يا آدم ، إبعثْ بعثَ النارِ ، فيقول : يا ربّ ، وما بعثُ النار ؟ فيقول : مـــن كلّ ألف تسع مائة ، وتسعة وتسعون في النـــار ، وواحد في الجنّـــة ، قال فأبلســـوا حتى ما أوضحوا بضاحكة ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك ، قال : إعملوا ، وأبشروا ، فوالـــذي نفس محمد بيده إنّكم لمع خليقتين ما كانتا في شيءٍ إلاّ كثّرتـــاه : يـــأجوج ومأجوج ، وما هَلَكَ من بني آدم ، ومن بني إبليس ...**)) [٧] ، فهذا الحديث يدلّ على أنّ هاتين القبيلتين أصلهما من بني آدم ، وسلالته .وهو الحديث نفسه الذي احتجّ به ابن كثير لهذا القول [٨] .

---

(١) زاد المسير : ٥ / ١٩٠ .
(٢) التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٥ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ١٥٤ .
(٤) جامع البيان : ١٦ / ١٦ .
(٥) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور : ٥ / ٤٥٥ ، دار الفكر ، (١٩٩٣ م) ، (د . ط) .
(٦) التحرير والتنوير : ٨ / ٤٣٠ .
(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري : ٢ / ٤١٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، (١٩٩٠ م) .
(٨) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٠٤ .

٢ ــ إنّ هذا القول هو قولٌ عامٌّ ، وكل من (ولــد يافث بن نوح) ، و (الترك والجيــل ، والديلم) ، و (الأمتان من وراء السد) ، و (المغول والتتر) ، وغيرها من الأقــوال الأخرى قــولٌ خاصٌّ [١] ، والقول العــام مقدّم على القــول الخاص ؛ لأنــه الأوْلى ، والأصل ، ولم يدلّ دليل على تخصيص العام [٢] ، يُــزاد إلى ذلك أنّ هذا القول شامل لكل الأقوال السابقة ؛ إذ كلها يمكن أن تدخل في معنــاه ، فكل واحد منها يرجع أصله إلى بني آدم ، وسلالته ، وذريته ، ونكون بذلك قد جمعنا بين الأقوال المختلفة ، ووفّقنا بينها ، وخرجنا من الخلاف بينها .

حتى إِنّ ابن كثير ــ رحمه الله ــ يذكر في موضع آخر [٣] أنهم من نسل نوح من أولاد يافث الذي هو أبو الترك ، وقد تُركوا من وراء السدّ الذي بناه ذو القرنين ، لكنّهُ يُرجع أصلهم إلى آدم عليه السلام ، ويكون بذلك قد جعل هذا القول شاملاً وجامعاً لكل الأقوال الأخرى .

وهناك أمثلة أخرى ذكرها القاسمي في مجال الاجتهاد من حيث دلالة الألفاظ ومعناها [٤] .

المبحث الثالث
مباحث بلاغية

أورد القاســمي ــ رحمه الله ــ عــدداً من المباحث البلاغية التي تدلّ على اجتهاده في التفسير اللغوي للقرآن في (**محاسن التأويل**) وهو مالا يسبق به من قبل ، ولم يذكره أحد من

---

(١) **العام** : (كل لفظ ينتظم جمعاً من الأسماء لفظاً أو معنى) . **والخاص** : (كلّ لفظ وُضِعَ لمعنى معلوم على الانفراد) . أصول السرخسي : ١ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، تحــ : أبو الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٤) ينظر : مثلاً دلالة ﴿ ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ في ســورة البقرة ، الآية (٢٣٨) ، محاسن التأويل : ٣ / ٢٨٦ ــ ٢٨٧ . ودلالة ﴿ بَصِيرٌ ﴾ في السورة نفسها ، الآية (٩٦) ، محاسن التأويل : ٢ / ٢٩٧ : ودلالة (**الحياة الطيّبة**) في سورة النحل ، الآية (٩٧) ، محاسن التأويل :١٠/ ١٥٦ وغيرها .

المفسرين قبله ، ويعدّ اجتهاده في هذا المجال من الجوانب الأساسية في اجتهاده في التفسير اللغوي للقرآن .

أمّا أهمّ المسائل البلاغية التي تدلّ على اجتهاده في هذا المجال ، فيمكن ذكرها بما يأتي :

أ ــ الغــرض البلاغي من الخبــر في جملة : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

ب ــ المجاز بين كلمتي ﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ، و ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

ويمكن تفصيل الكلام على ذلك بما يأتي :

أ ــ الغرض البلاغي من الخبر في جملة : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ :

ذكر القاسمي الغرض البلاغي من الخبر في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۞ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [1] ، إذْ إنّ قوله : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ خبر له غرض بلاغي ، ذكره القاسمي بقوله : " وسرّ الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه ، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ويلوّعهم من الهلال المؤبّد ، وفوات أمنيتهم الكبرى ، وهي حياتهم الدنيا " [2] ، وهو قول لم نجد أحداً من المفسرين ذكره ، أو أشار إليه قبله ، وبخاصّة الذين عُنوا بالمباحث البلاغية في تفاسيرهم .

ولدى رجوعنا إلى المفسرين ، وتفاسيرهم وبخاصة الذين عُنوا بالمباحث البلاغية يتضح لنا ما ذكروه من أغراض بلاغية أخرى في هذا المقام . ويمكن إجمالها بما يأتي :

١ ــ قول بأنه تعليل لما تقدّمه من معنى الآية . أي : ممتنع رجوعهم إلى الإيمان ، والسعي غير المكفور بسبب عدم رجوعهم عن الكفر ، وعدم توبتهم ، وما شابه ذلك . وهو ما ذكره الزمخشري [3] ، وابن عطية [4] ، والرازي [5] ، وابن عادل (٨٨٠ هـ) [6] .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيات : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) محاسن التأويل : ١٢ / ٢٩٣ .

(٣) الكشاف : ٣ / ١٣٥ .

(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ٩٩ .

(٥) التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩١ .

(٦) اللباب في علوم الكتاب : ١٣ / ٥٩٥ ، تحـ : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، (١٩٩٨ م) .

٢ ــ قول بأنّ غرضه تقرير ما قبله من قوله : ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ أي ممتنع البتــة عدم رجوعهم إلينـــا للجزاء ، أي : هــم راجعون إلينا لا محالة . وهــو ما ذكره أبو الســعود [١] ، واسماعيل حقــي البروسويّ (ت ١١٢٧ هــ) [٢] ، وهو القول الأول للآلوسي [٣] .

٣ ــ قول بأنه : إنكـــار وإبطال قول من ينكر البعث . وهو قول أبي حيّان [٤] ، ونقله عنــه الآلوسي [٥] .

٤ ــ قول بأنه : وعيــد بيّن . أي إنّ الكفــرة راجعون إلى عقاب الله ، وأليــم عذابه ، وهو ما ذكره ابن عطية [٦] .

٥ ــ قول بأنه : تحقيق ما تقدم قبل هذه الآية من أنّه لا كفران لسعي أحد ، وأنه يجزي على ذلك يوم القيامة . وهو القول الثاني لأبي حيّان [٧] ، ونقله عنه الآلوسي [٨] .

٦ ــ قول بأنه : تعريض بتأييس فريــق مِنْ المشركين من المصير والرجوع إلـــى الإيمان وتهديدهم بالهـــلاك ، وهم الذين هلكوا يوم بدر بســيوف المؤمنين . وهو القول الأول لابن عاشور [٩] .

٧ ــ قول بأنه : إثبـــات البعث بنفي ضدّه ، أي : هم راجعون إلينا فمجازون على كفــرهم ، ويفيد تأكيداً لقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ . وهو القول الثاني الذي رجّحه ابن عاشور [١٠] .

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٦ / ٨٤ .
(٢) روح البيان في تفسير القرآن : ٥ / ٥٢٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، (٢٠٠٣ م) .
(٣) روح المعاني : ١٧ / ٩١ .
(٤) البحر المحيط : ٦ / ٣١٤ .
(٥) روح المعاني : ١٧ / ٩١ .
(٦) المحرر الوجيز : ٤ / ٩٩ .
(٧) البحر المحيط : ٦ / ٣١٤ .
(٨) روح المعاني : ١٧ / ١٩ .
(٩) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٤٥ .
(١٠) م . ن : ١٧ / ١٤٥ .

وبعد عرض هذه الأقــوال يبدو لي ــ والله أعلم ــ أنّ القــول الراجح منها هو مجموع الأقوال : الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع ؛ إذْ كلّها يرجع إلى معنى واحد ، ويجمعها قول عام هو : تقريــر مضمون ما قبلها بإنكار من ينكــر البعث وإثباته بنفي ضــده وتحقيق الجزاء يوم القيامة ، والوعيد بعقاب الله لهم ذلك اليوم .

ورجوع عدّة أقوال في التفسير ، وجمعها بقول عامٍّ واحد إذا تضمنّها الــنص القرآنــي جميعاً هو ما قرّره العلماء من المفسرين ، وغيرهم ، وبذلك يكون التوفيق بينهــا ، ويكــون المُراد من النصّ القرآني جميعها لا قولاً واحداً بعينه [1] .

والذي جعلني أرجّح هذا القول ما يأتي :

١ ــ يمكن عدّ هذا القول كأنه قول جمهور المفسرين .

٢ ــ إنّ هذا القول يتوافق مع سياق الآيات التي تضمنت هــذا الموضوع في هذه الــسورة ، وهو بعيــد لا يتوافق مع الأقوال الأخرى ، فسياق الآيات يتحدث عن يــوم القيامــة ، واقترابه ، وما فيه من الأهوال ، وشدة الفزع ، وأحوال الكافرين فيــه ، ومن ذلك أنّ أبصارهم تكون شاخصة ، ويكونون في حسرةٍ وحيرةٍ ، وأنّ مصيرهم يكون مــشؤوماً في ذلك اليــوم ، بسبب إنكارهم البعــث ، والجزاء فيــه ، يضاف إلى ذلك أنّ الآيات تناولت الكلام على خروج يأجوج ومأجوج الذي جعله الله ﷻ علامــةً على قرب يوم القيامة [2] ، إلى غير ذلك مما يدخل في دائرة الكلام على يوم القيامة ، وبعث الخلق ، وجزائهم ، وعقاب الله للكافرين . وبذلك تكــون القرينة الســياقية أحد المرجحات لهذا القول ، وأحد الأدلة على ذلك .

ب ــ المجاز بين كلمتي ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ، و ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ :

(١) ينظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ١٠٠ ، تحــ : محمود محمد نصار ، مكتبة التراث الاسلامي . والبرهان في علوم القرآن للزركشــي : ٢ / ١٧٦ ، ١٧٧ ، دار الفكر ، (٢٠٠١ م) . وفتح القدير : ١ / ١٢ . وتعريف الدارســين بمناهج المفسرين ، الدكتور صلاح الخالدي : ٩٢ ، دار القلم ، دمشق ، ط (٢) ، (٢٠٠٦ م) . وأصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العكّ : ٩١ ، دار النفائس ، بيروت ، ط (٢) ، (١٩٨٦ م) .

(٢) جامع البيان : ١٧ / ٩٠ ــ ٩٣ . وتفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٩٥ ــ ١٩٨ . وصفوة التفاســير : ٢/ ٢٣٨ .

ذكر القاسمي هذه المسألة لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[1]، فبعد أن ردّ كلام بعض المفسرين الذين جعلوا ﴿ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ بمعنى ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ معتمدين في ذلك على اللغة ، وقد نقد القاسمي هذا الرأي بأنهما مختلفا المعنى ، والدلالة في اللغة ، وليسا بمعنى واحد ، ذكر بعد ذلك أنه يجوز جعل أحدهما دالاًّ على الآخر مجازاً ؛ إذ قال : " وما ذكره بعض المفسرين من أنّ ﴿ الْبَصِير ﴾ في اللغة بمعنى ﴿ الْعَلِيم ﴾ لا يخفى فساده ، فإنّ ﴿ الْعَلِيم ﴾و ﴿ الْبَصِير ﴾ اسمان متباينا المعنى في اللغة . نعم ! لو حُمل أحدهما على الآخر مجازاً لم يبعد ، ولا ضرورة إليه هنا . ودعوى أنّ بعض الأعمال ممّا لا يصحّ أن يُرى ، فلذا حُمل هذا البصر على العلم – وهو من باب قياس الغائب على الشاهد ، وهو بديهيّ البطلان " [2]. فقد اتضح من كلامه جواز جعل المجاز بين هاتين الكلمتين ، ولكن الضرورة ، والحاجة لا تقتضي ذلك ، ومسألة المجاز هنا من المسائل البلاغية البارزة ، ومبحث بارز من مباحث الاجتهاد في التفسير اللغوي للقرآن عنده من حيث الاتجاه البلاغي .

ويلاحظ أنّ المُراد من قوله (((بعض المفسرين) الذي ردّ القاسمي قوله ، ونقده هو الرازي (ت ٦٠٤ هـ) ؛ إذ تبيّن لنا ذلك لدى مراجعتنا لتفسيره ؛ فقد قال الأخير : " فاعلم أنّ البصر قد يُراد به العلم ، وقد يُراد به أنه على صفة لو وجدت المبصرَات لأبصرها ، وكلا الوصفين يصحّان عليه ﷻ إلاّ أنّ من قال : " إنّ في الأعمال مالا يصحّ أن يرى حمل هذا البصر على العلم لا محالة ")) [3] .

ولو رجعنا إلى كتب التفسير ، ومعاني القرآن ، وكتب اللغة لوجدنا أصحابها قد وقفوا عند هذه الآية ، وذكروا عدّة معانٍ لكلمة ﴿ الْبَصِير ﴾ ، وعلاقتها بكلمة ﴿ الْعَلِيم ﴾ ، ويمكن إجمال أقوالهم بما يأتي :

١ – قول بأن (البصر) بمعنى (العلم) حقيقةً وليس مجازاً ، وأنّ ﴿ الْبَصِير ﴾ و : العالم بالشيء ، وكنهه ، والخبير به ، وهو المعنى الذي ردّه القاسمي . وهو قول عدد من المفسرين ، منهم : الرازي [4] ، والقرطبي [5] ، وابن عادل [1] ، وأبو السعود [2] ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩٦ .
(٢) محاسن التأويل : ٢ / ١٩٧ .
(٣) التفسير الكبير : ٣ / ١٧٧ . وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١ / ٨٠٣ .
(٤) التفسير الكبير : ٣ / ١٧٧ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ٣٥ .

والشوكاني [٣] ، وابن عاشور [٤] .

٢ ــ قول بأن معناه : ذو إبصار عالم بخفيّات الأمور والأعمال ، وعليم بهــا لا يخفى عليه شيء منها . وهو قول مجموعة من المفسرين ، منهم : الطبري [٥] ، والقــول الأول للقرطبي [٦] ، والأول لابن عادل [٧] ، وهو قول أبي السعود [٨] ، والآلوسي [٩] .

٣ ــ قول بأن معناه (البصر الحقيقي) وليس (العلم) ، وفسّروه بأنه : ﷻ على صفة لو وجدت المبصرات لأبصرها . وهو قول الــرازي [١٠] ، ونقله ابن عادل عنه [١١] .

٤ ــ قول بأن معناه : جاعل الأشــياء المُبْصَرَة ذوات أبصار ، أي : مدركة للمبصَرات بما خلق لها من الآلة المدركة . وهو القول الثالث للقرطبي بصيغة (قيل) [١٢] ، والثالث لابن عادل بالصيغة نفسها أيضاً [١٣] .

٥ ــ قول بأن معنى إبصاره ــ تعالى ــ : " مجازاتهم بالتعذيب " كما تقول لمن يعصي : قد رأيت ما صنعتَ لتهديده ، وتخويفــه ، وكأنه معنى مجازي وليــس حقيقياً . وهو قول الخفاجي (ت ١٠٦٩ هــ) [١٤] .

وبعد عرض هــذه الأقوال يبدو لي ــ والله أعلم ــ أنّ القول الراجــح منها هو مجموع القولين : الأول ، والثاني ، أي المعنى الحقيقي ، وليس المجازي الذي جــوّزه القاسمي آنفاً ، ويكون المعنى : العالم بالشيء وكنهه، والعليم بخفيّات الأمور والخبير بها لا يخفى شيء منها؛ وذلك لِما يأتي :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب : ١ / ٨٠٣ .
(٢) إرشاد العقل السليم : ١ / ١٣٣ .
(٣) فتح القدير : ١ / ١١٦ .
(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٦١٩ .
(٥) جامع البيان : ٢ / ٦٧٣ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ٣٥ .
(٧) اللباب في علوم الكتاب : ١ / ٨٠٣ .
(٨) إرشاد العقل السليم : ١ / ١٣٣ .
(٩) روح المعاني : ١ / ٣٣١ .
(١٠) التفسير الكبير : ٣ / ١٧٧ .
(١١) اللباب في علوم الكتاب : ١ / ٨٠٣ .
(١٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ٣٥ .
(١٣) اللباب في علوم الكتاب : ١ / ٨٠٣ .
(١٤) حاشية الشهاب الخفاجي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي : ٢/٢١٠ ، دار صادر ، بيروت ، (د . ط) .

١ ــ هو قول جمهور المفسرين ، ومنهم أهل اللغة الذين لم يقولوا بالمجاز كالقاسمي .

٢ ــ قول القاسمي مردود لورود المعنى الحقيقي له في اللغة أي : (العلم) من غير مجاز ، وقد ورد ذلك عن اللحياني (ت نحو ٢٢٣ هــ) ، فقد قــال : " وإنه لبصير بالأشياء أي : عالــم بها " ، وقال : " والبصر : العلــم وبصرت بالشيء : علمتُه ، قال ﷻ : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [١] ــ أي علمتُ بما لم يعلموا به ــ ، والبصير : العــالم ... والتبصّر : التأمّل والتعرّف .والتبصير : التعريف والإيضاح ورجل بصير بالعلم : عالم به " [٢] ، فقــد اتضح من كلامه المعنى الحقيقي لكلمة ﴿ ٱلْبَصِيرِ ﴾ بأنه : العالم ، ويلاحــظ أنّ اللحياني استشهد لهذا المعنى بقولــه تعــالى : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [٣] ليدلّــل على كلامه ، ويؤيــده به ، وهــو ما يدخل في باب (تفسير القــرآن بالقرآن) ، وقد ورد تفسير هذه الآية بهذا المعنى عن أبي عبيدة (ت ٢١٠ هــ) [٤] ، والزجــاج (ت ٣١١ هــ) أيضاً ، وذكر الأخيــر بأنّ (البصير) يأتي بهذا المعنى الحقيقي أي : (العلم) [٥] . وأرى أنّ ذلك كافٍ لترجيح هذا القول على القول المجازي الذي ذكره القاسمي ، وكأنّ الأخير غاب عنه هذا المعنى ، أو لم يطلّع عليه .

---

(١) سورة طه ، الآية : ٩٦ .

(٢) نوادر اللحياني ، أبو الحسن علي بن حازم : ٢٠٦ (بصر) ، جمع وتحقيق ودراسة ، أطروحة دكتوراه للطالــب عبد العزيز ياســين عبد الله ، جامعة الموصل ، كليــة الآداب ، (١٤١٠ هــ) ، (١٩٩٠ م) . وينظر : لسان العرب : ١٥ / ١٢٦ (بصر) .

(٣) سورة طه ، الآية : ٩٦ .

(٤) ينظر : مجاز القــرآن : ٢ / ٢٦ ، تحــ : د . محمد فــؤاد سزگين ، مؤسسة الرســالة ، ط (٢) ، (١٩٨١ م) .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١ / ١٥٧ ــ ١٥٨ ، ٣ / ٣٠٤ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري : ١٢ / ١٧٤ (بصر) ، تحــ : أحمد عبد العليم البردوني ، الدار المصرية ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .

وهناك أمثلة أخـــرى لاجتهاد القاسمي في التفسير اللغـــوي للقرآن من حيث الاتجاه البلاغي ذكرها في مواضع أخرى من تفسيره (١) .

المبحث الرابع
مباحث في التفسير البياني

للقاسمي ــ رحمه الله ــ مباحث في التفسير البياني تدلّ على اجتهاده في التفسير اللغوي للقرآن ؛ إذْ اجتهد في تلك المباحث وتأمّل فيها ، وأعمل فكره حتى وصل إلى تلك الآراء .

ويعدّ الاجتهاد في هذا المجال جانباً بارزاً وأساسيّاً في الاجتهاد في التفسير اللغوي للقرآن في العصر الحديث ، وكذلك في التجديد الذي حصل في تفسير القرآن الكريم في هذه الحقبة ، ويعدّ القاسمي أحد الأقطاب الذين قادوا الحركة التجديدية في هذا المجال ، وفي هذا العصر ، اتضح ذلك في تفسيره (**محاسن التأويل**) .

وترجع بدايات التجديد والتطور في التفسير اللغوي للقرآن من حيث التفسير البياني إلـــى مدرسة جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا التفسيرية ، وضمن منهجهم الجديد في تفسير القرآن الكريم ؛ ذلك أنّ التفسير البياني يدخل في دائرة المدرسة اللغوية فـــي التفسير ، وقد تفرّع من مدرسة الإمام محمد عبده إِتجاه ســـمّى بـــ (**الاتجاه الأدبي في تفسير القرآن**) قاد حركته الشيخ أمين الخولي ، وزوجه وتلميذته عائشة عبد الرحمن وقد ظهر ذلك واضحاً جليّاً في كتابها المشهور (**التفسير البياني للقرآن الكريم**) ، أما التطور الحقيقي فـــي مجال التفسير البياني فلم يحصل إلاّ على يد الأستاذ سيد قطب ــ رحمه الله ــ وقد ظهر ذلك واضحاً في كتابيه المشهورينِ (**التصـــوير الفني في القرآن**) ، و (**في ظلال القرآن**) (٢) ، والكلام على هذه القضية طويل لا تسعه هذه الأسطر ، ولا نريد الإطالة فيه ؛ إذ نحن بـــصدد الكلام على الاجتهاد والتجديد عند القاسمي في هذا المجال .

ويمكن ذكر أهم المسائل في اجتهاد القاسمي في هذا المجال بما يأتي :

---

(١) ينظر مثلاً : ســـورة البقرة ، الآية (١٨٧) ، والآية (٢١١) ، والآية (٢٣٨) فـــي موضعين . محاســـن التأويل : ٣ / ١٢٤ ، ٣ / ١٨٢ ، ٣ / ٢٨٦ . وسورة النحـــل ، الآية (١٠٦) . محاسن التأويل : ١٠ / ١٦٣ . وسورة الأنبياء ، الآية (٩٥) . محاسن التأويل : ١١ / ٢٩٣ ، وغيرها .

(٢) ينظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي : ٣٠٢ ــ٣٠٤، وما بعدها ، دار المعرفـــة ، ط (١) ، (١٩٦١ م) . وتطور تفســـير القرآن ، قراءة جديدة للدكتور محسن عبد الحميد : ٥٢ ، ٨١ ــ ٨٥ ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، (د . ت) . والتفســـير اللغوي في محاسن التأويل : ٢١٠ ــ ٢١٢ .

أ ــ زيادة المعنى لزيادة المبنى في كلمة ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ .

ب ــ إيثار كلمة ﴿ لَا يَحِلُّ ﴾ على كلمة ﴿ حُرِّمَ ﴾ .

وفي ما يأتي تفصيل الكلام على هاتين المسألتين :

أ ــ زيادة المعنى لزيادة المبنى في كلمة ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ .

ذكر القاسمي هذه المسألة لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾ (١) ، فقد ذكر معنى ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ بأنه : حَمَل ورفع مِنْ قوة الجيشان ، ونقل قول المفسرين فيه بصيغة (قيل) بأن معناه : حَمَلَ ، وأنهم جَعَلوا المزيد ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ بمعنى المجرد ﴿ حَمَلَ ﴾ ، لكنه ذكر فائدة لغوية لهذه الزيادة في صيغة (افتعل) كأنه لم يرضَ بالقول الأول آنفاً ، فقد قال : " ويظهر لي : أنّ إيثاره عليه لزيادة في معناه ، وقوةٍ في مبناه " (٢) ، ومعنى كلامه : أنّ الزيادة في لفظ ﴿ حَمَلَ ﴾ بالهمزة ، والتاء ، أي ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ زادت من معناه ، وأعطته دلالة أخرى ، وهو يشير إلى القاعدة اللغوية التي سنذكرها فيما بعد وهي : (أنّ زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى) ، ورأي القاسمي في الفعل ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ لم نجد أحداً قبله من المفسرين ذكره ، أو أشار إليه ممّا يؤكّد اجتهاده في المسائل البيانية ، ومن ثَمَّ اجتهاده في التفسير اللغوي للقرآن .

وممّا ينبغي أن يُعلم إنّ الرأي الذي نقله القاسمي عن المفسرين آنفاً بصيغة (كذا قيل) ، أي الذين لم يفرّقوا بين الفعلين ﴿ ٱحۡتَمَلَ ﴾ و ﴿ حَمَلَ ﴾ ، وجعلوا المزيد بمعنى المجرد ، ولم يفرّقوا بين صيغتي (افْتَعَلَ) و (فَعَلَ) ، بعد هذا كلّه تبيّن لنا أنه قول أبي حيّان الأندلسي ، وربما نقله القاسمي من تفسيره ، وهو المقصود بقوله (كذا قيل) ؛ فقد قال أبو

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

(٢) محاسن التأويل : ٩ / ٣٥٢ .

حيّان : " واحتمل بمعنى حمل ، جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقــدر " [(١)] ، وهو قول السمين الحلبي [(٢)] ، وابن عادل [(٣)] ، والآلوسي أيضاً [(٤)] ، وربما نقلوه منه .

ويلاحظ أنّ أبا حيّان والذين بعده لم يفرّقوا بين الفعلين (قدر) و (اقتدر) بناءً على أنه لا فرق بين الفعلين ﴿ حَمَلَ ﴾ و ﴿ ٱحْتَمَلَ ﴾ ، أي لا فرق بين المزيد والمجرد ، وهو خلاف ما ذكره المحققون من اللغويين كالزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، الذين قرّروا قاعدة لغوية دلالية بيانية مفادها (زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى) ، وهي قاعدة تتحقق في أغلب كلام العرب إلاّ في مواضع معروفة من كلامهم مستثناة من هذه القاعدة [(٥)] ، وقد عقد ابن جني في كتابه (**الخصائص**) باباً خاصاً سمّاه (**باب في قوة اللفظ لقوة المعنى**) ، قال فيه : " هذا فصل في العربية حسن ، منه قولهم : خشن واخشوشن ، فمعنى خشن دون اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ... وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : اعشوشب ... " [(٦)] إلى أن قال : " ومثله باب فعل وافتعل نحو قدر واقتدر ، فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر " ، وفرّق أيضاً بين الفعلين ﴿ كَسَبَ ﴾ و ﴿ ٱكْتَسَبَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [(٧)] ، بأنّ ﴿ ٱكْتَسَبَ ﴾ فيه من القوة والفخامة والكثرة والمبالغة أكثر من ﴿ كَسَبَ ﴾ [(٨)].

ويبدو أنّ القاسمي كان محظوظاً بإيراد ابن جني هذا الكلام في كتابه (**الخصائص**) ، ودعم رأيه الجديد واجتهاده فيهما على وفق هذه القاعدة اللغوية، فقد اتضح الفرق بين (قدر) و (اقتدر) بأنّ الثاني أقوى معنىً من الأول .

---

(١) البحر المحيط : ٥ / ٣٧٢ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١١ / ١٤٥ ، تحـ : أحمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، ط (١) ، (١٩٨٦ م) .

(٣) اللباب في علوم الكتاب : ١١ / ٢٨٨ .

(٤) روح المعاني : ١٣ / ١٣٠ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ١٧١ .

(٦) الخصائص : ٣ / ٢٦٤ ــ ٢٦٦، تحـ : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط (١) ، (١٩٥٦ م) .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٨) ينظر : الخصائص : ٣ /٢٦٤ ــ ٢٦٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١ / ٤٩ . والكشاف : ١ / ٥٠ . والتحرير والتنوير : ١ / ١٧١ .

وهنا نستطيع أن نحـــدّد المعنى الدلالي والبياني للفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ المزيد في آية سورة الرعد السابقة الذي لم يذكره القاسمي وإنما اكتفى بالإشارة إلى القاعدة اللغوية البيانية ، فــإنّ الفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ فيه من القوة والكثرة والمبالغة أكثر من الفعل ﴿حَمَلَ﴾ ، وليسا بـــالمعنى نفسه ، ومن هنا يتضح اجتهاده البياني في هذه المسألة .

وبعد هذا كلّه لا يبقى أدنى شكّ في ترجيح قول القاسمي على قول غيره من المفسرين ، ويمكن إجمال أسباب هذا الترجيح بما يأتي :

١ ـــ ما ذكرناه من القاعدة اللغوية (زيـــادة المبنى تؤذن بزيـــادة المعنى) وقد وسّعنا الكلام عليها آنفاً .

٢ ـــ ذكر اللغويّـــون وبخاصة الذين عُنُوا بعلـــم التصريف أنّ من معاني صيغة (افتعل) : المبالغة في معنى الفعل ، وتكثيره [1] ، وقد ذكرنا هذا المعنى لهذه الصيغة لدى كلامنا على المعنى الدلالي والبياني للفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ .

٣ ـــ إنّ معنى المبالغة والكثرة والقوة في هذه الصيغة ، وفي الفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ يتوافق مـــع سياق الآية ، ويتناسب معه ، وبخاصة قوله : ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ ومعنى ﴿زَبَدًا﴾ : الغثاء الذي يحمله السيل ، ومعنى ﴿رَّابِيًا﴾ عاليـــاً منتفخاً ، فالنص القرآني يبيّن لنا أن هذا السيل الذي حـــدث من الأمطار حَمَل حملاً كبيراً وقويّاً وكثيراً [2] ، وهذا يناسبه الفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ وليس ﴿حَمَلَ﴾ ،ولو كان الفعل ﴿حَمَلَ﴾ هـــو المقصود لذكره القرآن، ولم يقتصر على الفعل ﴿ٱحۡتَمَلَ﴾ ، فذكر الثاني فيه دلالة بيانية على ما ذكرناه من معنى المبالغة والكثرة وما شابه ذلك ، وبذلك تكون القرينة السياقية أحد المرجِّحات لهذا الـــرأي .

---

(١) ينظر : شرح شـــافية ابن الحاجب ، للاستراباذي : ٨٩/١ ، تحـــ : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفـــزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميـــد ، دار إحيـــاء التراث العربي ، بيـــروت ، ط (١) ، (د . ت) . والصرف الواضح ، عبد الجبار علوان النايلـــة : ١٠٤ ، جامعة الموصل ، (د . ط) . وكتاب شـــذا العرف في فـــن الصرف ، أحمد الحمـــلاوي : ٤٣ ، مكتبة النهضـــة العربية ، بغداد ، (د . ط) . ومعجم الأوزان الصرفية ، الدكتور أميـــل بديع يعقوب : ١٦٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط (٢) ، (١٩٩٦ م) .

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٣ / ١٣٤ . وتفسير القرآن العظيم : ٢ / ٥٠٩ . ونظم الدرر : ٨ / ١٠٨ . وصفوة التفاسير : ٢ / ٧٢ .

ب ـــ إيثار كلمة ﴿لَا يَحِلُّ ﴾على كلمة ﴿ حُـرِّمَ ﴾ :

ذكر القاسمي هذه المسألة البيانية لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ (١) ؛ إذْ بيّن أنّ القرآن آثر كلمة ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ على كلمة ﴿ حُـرِّمَ ﴾ لنكتة بيانية جديرة بالذكر ، وهي : تكريم النبيّ ﷺ باللفظ الأول دون الثاني ، غير أنه خاطب المؤمنين بالثاني دون الأول ، وذكر أن ذلك لم يذكره أحد قبله ، فقد قال : " أنظر إلى تكريمه تعالى لنبيّه صلوات الله عليه حيث لم يقل له (وحرّم عليك ما وراء ذلك) كما خاطب المؤمنين بنظيره، لتعلم كيف تتفاوت الناسُ بالخطاب تفاوتهم في رفيع الدرجات . ولم أرَ أحداً نبّه على ذلك ، فاحرص عليه فيه وفي أمثاله " (٢) ، وهو يقصد بذلك أنّ خطاب الله تعالى لنبيّه عليه السلام يختلف عن خطابه للمؤمنين وهو ما يدخل ضمن تكريمه له عليه السلام .

ولدى رجوعنا إلى كتب التفسير وغيرها نجد ما يؤكد كلام القاسمي ؛ ويؤيّده إذْ لم نجد أحداً ذكر ذلك ، بل لم نجد أحداً منهم ذكر شيئاً من هذا القبيل لا من قريب ولا من بعيد سوى القونوي (ت ١١٩٥ هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي ؛ إذ ذكر أنّ إيثار ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ على ﴿ حُـرِّمَ ﴾ بأنّ الأول أبلغ من الثاني من بعد تكميل واحتراس (٣). ويقصد بكلمة (أبلغ) أنّ الأول أحسنُ بياناً وأقوى تأثيراً في إيصال المعنى وبلوغ المعنى المقصود من اللفظ الثاني.

وإذا عُدنا إلى كلام القاسمي آنفاً لوجدنا أنه لم يفصّل الكلام في المسالة ، ولم يوضح ذلك ، أي لم يذكر الأصل اللغوي الدلالي لكلمة ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ حتى تؤدي المعنى المقصود أكثر من

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٢ .
(٢) محاسن التأويل : ١٣ / ٢٨٩ .
(٣) حاشية القونوي : ١٥ / ٤٠٣ ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، (٢٠٠١ م) .
ومعنى (الاحتراس والتكميل) : ((أنْ يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، أي : يُؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٥٤] ، فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلة على المؤمنين لتوهم أنّ ذلك لضعفهم ، وهذا خلاف المقصود ، فأتى على سبيل التكميل بقوله : ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾)) . التعريفات للجرجاني : ١٦ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، (د . ط) ، (د . ت) .
وعلى ذلك يكون الاحتراس والتكميل في آية الأحزاب السابقة بأنّ الله تعالى لم يحلّ لنبيه عليه السلام النساء ، ولم يبح له أن يبدلهُنّ بغيرهنّ ولو أعجبه حسنهنُّ ، وهذا احتراس؛لأنه يُوهم عدم الحلّ مطلقاً وهو خلاف المقصود ، فأتى على سبيل التكميل بقوله : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ ﴾ . والله أعلم .

﴿ حُرِّمَ ﴾ ، ولم يذكر النكتة البيانية اللغوية فيها حتى تُفَضّل على الثاني، وهذا ما يجعلنا نقف عندها وِقفةَ تأمّل وتدبّر مستعينين بالدلالة اللغوية فيها .

أما مـــادة (حَلَّ) فقد ذكر ابن فــارس (ت ٣٩٥ هــ) بأنّ (الحاء واللام) له فروع كثيرة يرجع أصلها كلها عنده إلى (فتح الشيء) [١] ، وقد استُعير من (حل العقدة) قولهم : حَلّ الشيء حَلاً [٢] ، " والحلال ضد الحــرام ... ، وحللتُ الشيء : إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه " [٣] ، والحلال : " ما انتفى عنه حكم التحريم " وهو " مالا يُعاقب عليه كالحِلِّ " [٤] .

أمّا مادة ﴿ حُرِّمَ ﴾ ، فقد ذكر ابن فــارس بأنّ (الحاء والراء والميم) أصل واحد ، وهو المنع والتشـــديد [٥] . وحُرِّمَ الشيء : امتنع فعلــه [٦] . وحَرَمَهُ الشيء : منعه العطية ، والحرمان : نقيضه الإعطاء والرزق [٧] ، والحرام نقيض الحلال [٨] ، والحرام : الممنوع [٩] ، والحُرمة : مالا يحلّ لك انتهاكه [١٠] .

مما سبق يتضح لنا ما يأتي :

١ ــ أنّ الفعل (حَلّ) يدل أصلاً على فتح الشيء وإباحته واتساعه لأمرٍ فيه ، وعدم العقاب عليه ، وما إلى ذلك .

٢ ــ أنّ الفعل ﴿ حُرِّمَ ﴾ يدل أصلاً على المنع والتشـــديد ، وامتناع الفعل ، ومنع العطيـــة والرزق ، وعدم الانتهاك وما إلى ذلك .

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٢٠ (حلّ) ، دار الجيل ، بيروت ، تحــ : عبد الســلام محمد هارون ، ط (٢) ، (١٩٩٩ م) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني : ١ / ١٢٨ (حلّ) تحــ : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، (دمشق) ، والدار الشامية ، (بيروت) ، ط (١) ، (١٩٩٦ م) .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٢٠ (حلّ) .

(٤) تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي : ٢٨ / ٣٢٧ (حرم) ، دار صادر ، بيروت ، (١٣٨٦ هــ ــ ١٩٦٦ م) .

(٥) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٥ (حرم) .

(٦) كتاب المصباح المنير للفيومي : ١ / ١٣١(حرم) ، دار القلم ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

(٧) لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ١٢٥ (حرم) .

(٨) تاج العروس : ٨ / ٢٣٩ (حرم) .

(٩) كتاب المصباح المنير : ١ / ١٣١ (حرم) .

(١٠) كتاب العين : ٣ / ٢٢٢ (حرم) .

وبعد هذا كلّــه يمكن لنا أن نحدّد السر اللغــوي البياني في إيثــار ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ على ﴿ حُـرِّمَ ﴾ الذي لم يقف عنده القاســمي ، ولم يذكر المغزى من ذلك ، ولو عدنا إلى المعاني اللغوية التي ذكرناها آنفاً لكلمتي ﴿ يَحِلُّ ﴾ ، و ﴿ حُـرِّمَ ﴾ لاتضح لنا ذلك المغزى .

أمّا كلمة ﴿ يَحِلُّ ﴾ فقد ذكرنــا أن من معانيها : فتح الشــيء ، وإباحته ، واتساعه دون تضييقه ، وعدم وقوع العقاب فيه ، وما إلى ذلك وهي معانٍ ودلالات تليق به ﷺ ، وبمقامــه الكريم ، ومن هنا يتضح معنى التكريم الذي جعله الله ﷻ له ، والذي ذكره القاسمي آنفاً .

أما كلمة ﴿ حُـرِّمَ ﴾ فقد ذكرنا أنّ من معانيها : المنع ، والتشديد دون التيسير ، ومنها : منع العطية والرزق ،وعدم الانتهاك ، وما إلى ذلك، وهي ــ بخلاف الأولى ــ معانٍ ودلالات لا تليــق به ، ولا بمقامه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وعدم مخاطبته بهذا الفعل يدخل أيضاً ضمن تكريمه المذكور آنفاً ، غير أنه قد خاطب المؤمنين بذلك في مواضع عدة من القــرآن ، من ذلك قولــه تعــالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) ، وقولــه : ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... ﴾ (٣) ، وغير ذلك ، فلم يخاطبهم بعدم الحلّ ، إذ لم يقل لهم : ما لم يحلّ عليكم ، أو : لا يحلّ لكم ، أو مــا شــابه ذلك. فتبيّن أنّ خطابه يختلف عن خطابهم ،وفي هذا دلالة على رفعة منزلته عند الله ، وشرف مقامه ــ عليه الصلاة والسلام ــ . وأظنّ أنّ ذلك كافٍ لإيضاح هذه المسألة البيانية ، ومن ثمّ يتضح اجتهاد القاسمي فيها .

وقد بدا لي ، وخطر ببالي ــ وأنا أكتب في هذه المسألة ــ أنّ هناك تناسباً لفظياً بين الفعل ﴿ يَحِلُّ ﴾ في هــذه الآية ، والفعل ﴿ أَحْلَلْنَا ﴾ في الآية الســابقة لها ، وهي قولــه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ... ﴾ (٤) ، ويمكن جعل هذا سبباً آخر يستأنس به في مجيء الفعل بلفظ ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ دون ﴿ حُـرِّمَ ﴾ ، فلم يقــل فــي الآيــة السابقة : إنّا لم نحــرّم لك أزواجك ... ، وإنما جاء بمادّة (حَلّ) ثم أتبعها في الآية موضوع البحث باللفظ نفســه ليتحقق التشابه اللفظي بينهما ، ولم أجــدْ أحداً ذكر ذلك أو نبّه عليه مــن المفسرين ، وغيرهم قديماً أو حديثاً ــ والله أعلم ــ .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٩ .
(٢) سورة النور ، الآية : ٣ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٣ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٠ .

وهناك أمثلة أخرى تبيّن اجتهاد القاسمي في التفسير اللغوي للقرآن من حيث التفسير البياني ذكرها في مواضع أخرى من تفسيره [1] .

الخاتمة

يمكن ذكر أهم النتائج التي توصّل إليها البحث بما يأتي :

١ ــ لتفسير القاسمي (**محاسن التأويل**) أثر واضح في الاجتهاد اللغوي في التفسير ، وإنّ من أسباب ذلك منهجه في التجديد والإصلاح الذي سار عليه في حياته ، وإنّ اجتهاداته في هذا الميدان تدخل ضمن منهجه في التفسير بالرأي الجائز .

٢ ــ اتضحت اجتهادات القاسمي في التفسير اللغوي للقرآن بأربعة مباحث أساسية هي : الإعراب ومسائل نحوية أخرى ، ودلالة الألفاظ القرآنية ومعانيها ، ومباحث بلاغية ، ومباحث في التفسير البياني .

٣ ــ يرى القاسمي أنّ إعراب (**الصَلاة الْوُسْطَى**) في قوله تعالى : ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ** ﴾ [2] له وجهان ، الأول : هو صفة لـ ﴿ **ٱلصَّلَوَاتِ** ﴾ والواو فاصلة بينهما ، وأن معنى ﴿ **ٱلْوُسْطَىٰ** ﴾ : الفضلى . والثاني : هي معطوفة على ﴿ **ٱلصَّلَوَاتِ** ﴾ ، والواو عاطفة ، وأنّ معنى ﴿ **ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ** ﴾ : الصلاة ذات الأداء المتوسط ، لا الطويلة المُمِلّة ولا القصيرة المُخِلّة . أما القول الراجح منهما فهو الإعراب الثاني ، وليس الأول .

٤ ــ ذكر القاسمي بأنّ إعراب جملة ﴿ **وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ** ﴾ [3] هو : عطف بيان ، أو عطف تفسير ،

---

(١) ينظر مثلاً : سورة البقرة ، الآية (٢٣٨) ، محاسن التأويل : ٣ / ٢٨٦ . وسورة آل عمران ، الآية (٣٧) ، محاسن التأويل : ٣ / ١٣٩. وسورة النساء ، الآية (١٠٧) ، محاسن التأويل : ٥/ ٤٥١ . وسورة النحل ، الآية (١٠٦) ، محاسن التأويل : ١٠ / ١٦٣ . وسورة الأنبياء ، الآية (٩٥) ، محاسن التأويل : ١١ / ٢٩٣ ، وغيرها ،

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ .

وهي تفيد التبيين والتوضيح . أما القول الراجح في إعرابها فهو: جملة شرطية مركبة من الشرط ﴿ مَن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾ ، وجوابه ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

٥ ــ بيّن القاسمي دلالة ﴿ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (١) ، بأنّ معناها : طلائع النصر والقهر . أما القول الراجح في دلالتها فهو يوم القيامة .

٦ ــ بيّن القاسمي دلالة ﴿ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ (٢) ، بأن معناه : عَلَمٌ لكلِّ أمة كثيرة العدد مختلطة من أجناس شتّى . أما القول الراجح في دلالتها فهو : قبيلتان من بني آدم وسلالته .

٧ ــ ذكر القاسمي بأنّ الغرض البلاغي من الخبر في قوله : ﴿ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ (٣) ، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ويلوّعهم من الهلاك المؤبّد . أمّا القول الراجح فيه فهو : تقرير مضمون ما قبلها بإنكار مَنْ ينكر البعث وإثباته بنفي ضده وتحقيق الجزاء يوم القيامة بعقاب الله للكفرة .

٨ ــ ذكر القاسمي جواز جعل المجاز بين كلمتي ﴿ ٱلۡبَصِيرِ ﴾ ، و ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ بأن يحمل أحدهما على الآخر مجازاً لدى تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (٤). أمّا القول الراجح فيه فهو : المعنى الحقيقي ، وليس المجازي فيهما ، ولا يحمل أحدهما على الآخر مجازاً ، وأنّ معنى ﴿ ٱلۡبَصِيرِ ﴾ : العالم بالشيء وكنهه ، والعليم بخفيّات الأمور ، لا يخفى عليه شيء منها .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٧ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٦ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٥ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٩٦ .

٩ ــ بيّن القاسمي بأن سبب إيثار الفعل ﴿ ٱحْتَمَلَ ﴾ على ﴿ حَمَلَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ ﴾ [١] هو : لزيادة في معناه ، وقوّة في مبناه . لكنه لمْ يُبيّن المعنى الدلالي والبياني له . ونستطيع أن نحدّده ونستنبطه بأن الفعل ﴿ ٱحْتَمَلَ ﴾ فيه من القوة والكثرة والمبالغة أكثر من الفعل ﴿ حَمَلَ ﴾ ، وليسا بالمعنى نفسه .

١٠ ــ بيّن القاسميُّ بأن سبب إيثار كلمة ﴿ لَّا يَحِلُّ ﴾ على كلمة ﴿ حُـرِّمَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ... ﴾ [٢]. هو لنكتة بيانية هي : تكريم النبي ﷺ باللفظ الأول دون الثاني، لكنه لم يفصّل الكلام فيها ولم يُوضح ذلك ، ونستطيع أن بيّن الكلام فيها بالتفصيل والتوضيح بأنّ الفعل ﴿ يَحِلُّ ﴾ من معانيه : إباحة الشيء ، وأتساعه ، وعدم العقاب فيه ، وهو ما يناسب مقامه ﷺ . أما الثاني فمن معانيه : المنع ، والتشديد ، وعدم الانتهاك ، وهو مالا يناسبه ﷺ وبذلك يتحقق التكريم المقصود له .

المصادر والمراجع

أولاً ـ الرسائل الجامعية :

١ ــ **الدرس النحوي في تفسير القاسمي المسمّى (محاسن التأويل)** ، رسالة ماجستير للطالب ضياء حميد دهش الشجيري ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بإشراف : الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي ، (رجب ١٤٢١ هـ ــ أيلول ٢٠٠٠ م) .

٢ ــ **القاسمي ومنهجه في التفسير** ، رسالة ماجستير للطالب حسين علي القيسي ، كلية الشريعة ،جامعة بغداد، بإشراف : الدكتور عبد الستار حامد،(١٤١٠هـ ــ١٩٩٠م) .

٣ ــ **نوادر اللحياني ، أبو الحسن علي بن حازم (ت نحو ٢٢٣ هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة** ، أطروحة دكتوراه للطالب عبد العزيز ياسين عبد الله ، بإشراف : الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم ، جامعة الموصل، كلية الآداب ، (١٤١٠هـ ــ١٩٩٠م) .

ثانياً ـ الكتب المطبوعة :

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٢ .

١ ـ **أصول التفسير وقواعده :** خالد عبد الرحمن العكّ ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ ، (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) .

٢ ـ **أصول السرخسي :** السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٩٠هـ) ، تحـ : أبو الوفا الأفغاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٣ ـ **إعراب القرآن :** النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل (ت ٣٣٨ هـ) ، تحـ : د . زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ ، (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م) .

٤ ـ **الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين :** خير الدين الزركلي ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

٥ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل :** البيضاوي،عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٦ ـ **البرهان في علوم القرآن :** الزركشي ، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ) ، دار الفكر، بيروت ، (د . ط) ، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م) .

٧ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس :** الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) ، المجلد السابع ، والمجلد الثامن ، دار صادر، بيروت ، (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م) .

٨ ـ **التبيان في إعراب القرآن :** العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ) تحـ : علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، (د . ط) ، (١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م) .

٩ ـ **تطور تفسير القرآن ، قراءة جديدة :** الدكتور محسن عبد الحميد ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، (د . ط) ، (د . ت) .

١٠ ـ **التعريفات :** الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦ هـ) ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، (د . ط) ، (د . ت) .

١١ ـ **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين :** الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ،دار القلم ، دمشق ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ هـ) .

١٢ ـ **تفسير أبي السعود المسمّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) :** العمادي ، أبو السعود محمد بن محمد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م) .

١٣ ــ **تفسير البحر المحيط** : الأندلسي الغرناطي ، محمد بن يوسف (ت ٧٥٤ هـــ) ، تحــ : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م) .

١٤ ــ **تفسير التحرير والتنوير** : محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٣ م) ، دار سحنون ، تونس ، (د . ط) ، (د . ت) .

١٥ ــ **تفسير الجلالين** : المحلي ، محمد بن أحمد (ت ٨٦٤ هـــ) ، والسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت ٩١١هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١،(د . ت).

١٦ ــ **تفسير غريب القرآن** : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـــ) ، تحــ : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، (١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م) .

١٧ ــ **تفسير القاسمي المسمّى بـ (محاسن التأويل)** : القاسمي ، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م) ، دار الفكر ، ط ٢ ، (١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م) .

١٨ ــ **تفسير القرآن العظيم** : الدمشقي ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفداء ، بيروت ، (د . ط) ، (١٤٠١ هـ) .

١٩ ــ **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** : الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الشافعي (ت ٦٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠ م) .

٢٠ ــ **التفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي**: الدكتور الأومريّ ، ماهر جاسم حسن ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، بغداد ، ط ١، (١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ م) .

٢١ ــ **تفسير مقاتل بن سليمان** : البلخي ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت ١٥٠ هـ) ، تحــ : احمد فريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م) .

٢٢ ــ **تفسير النسفي المسمّى بـ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** : النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت ٧٠١ هـ) ، دار الفكر ، (د . ط) ، (د . ت) .

٢٣ ــ **تهذيب اللغة** : الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) ، الجزء الثاني عشر، تحــ : أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية ، القاهرة،(د . ط) ، (د . ت) .

٢٤ ــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ، (١٤٠٥ هـ) .

٢٥ ــ **الجامع الصحيح المختصر** : البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) ، تحـ : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط ٣ ، (١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م) .

٢٦ ــ **الجامع لأحكام القرآن** : القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ) ، دار الشعب ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) .

٢٧ ــ **جمال الدين القاسمي ، أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام** : الدكتور نزار أباظة ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ م) .

٢٨ ــ **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي** : القونوي ، اسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥ هـ) ، **ومعه (حاشية ابن التمجيد)** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م) .

٢٩ ــ **حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي** : الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٣٠ ــ **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** : الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥ هـ) ، تحـ : محمد بهجة البيطار ، (د . ط) ، (١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م) .

٣١ ــ **الخصائص** : ابن جني أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) ، تحـ : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، (١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٦ م) .

٣٢ ــ **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون** : السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ هـ) ، تحـ : د . أحمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م) .

٣٣ ــ **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** : السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ، (١٩٩٣ م) .

٣٤ ــ **روح البيان في تفسير القرآن** : البروسوي ، اسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخَلْوَتي (ت ١١٢٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م) .

٣٥ ــ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٣٦ ــ **زاد المسير في علم التفسير** : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) .

٣٧ ــ **شرح شافية ابن الحاجب** : الاستراباذي ، محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ) ، تحـ : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، (د . ت) .

٣٨ ــ **صحيح مسلم** : النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٣٩ ــ **الصرف الواضح** : عبد الجبار علوان النايلة ، جامعة الموصل ، (د . ط) ، (د . ت) .

٤٠ ــ **صفوة التفاسير** : محمد علي الصابوني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م) .

٤١ ــ **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير** : الشوكاني ، محمد ابن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر، بيروت ، (د . ط)،(د . ت) .

٤٢ ــ **في ظلال القرآن** : سيد قطب ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، (د . ت) .

٤٣ ــ **القاموس المحيط** : الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ، (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م) .

٤٤ ــ **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** : القاسمي ، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م) ، تحـ : محمد بهجة البيطار ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ٢ ، (١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م) .

٤٥ ــ **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل** : ابن جزي الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط ٤ ، (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) .

٤٦ ــ **كتاب شذا العرف في فن الصرف** : أحمد الحملاوي ، مكتبة النهضة العربية ، بغداد ، (د . ط) ، (د . ت) .

٤٧ ــ **كتاب العين** : الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) ، تحـ : د . مهدي المخزومي ، و د . ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، (د . ط) ، (١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م) .

٤٨ ــ **كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** : الفيومي ، أحمد بن محمد ابن علي (ت ٧٧٠ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٤٩ ــ **الكشّاف** : الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـــ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحـــ : عبد الرزاق المهدي ، (د . ط) ، (د . ت) .

٥٠ ــ **اللباب في علوم الكتاب** : ابن عادل الدمشقي ، أبو حفص عمر بن علي (ت ٨٨٠ هــ) ، تحـــ : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤١٩ هــ ــ ١٩٩٨ م) .

٥١ ــ **لسان العرب** : ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هــ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، (د . ت) .

٥٢ ــ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحقّ ابن غالب (ت ٥٤٦ هــ) ، تحـــ : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، (١٤١٣ هــ ــ ١٩٩٣ م) .

٥٣ ــ **مجاز القرآن** : أبو عبيدة التيمي،معمر بن المثنى (ت ٢١٠هــ) ، تحـــ : د . محمد فؤاد سزكَين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، (١٤٠١ هــ ــ ١٩٨١ م) .

٥٤ ــ **مختصر في شواذّ القراءات من كتاب البديع** : ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـــ) ، دار الهجرة ، (د . ط) ، (د . ت) .

٥٥ ــ **المستدرك على الصحيحين** : الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هــ) ، تحـــ : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٠١ هــ ــ ١٩٩٠ م) .

٥٦ ــ **مشكل إعراب القرآن** : القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٣٥٥ هــ) ، تحـــ : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـــ ــ ١٩٨٥ م) .

٥٧ ــ **المصطلح اللغوي في القرآن الكريم** : الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم ، جامعة الموصل ، دار ابن الأثير للطباعة والنشر ، (د . ط) ، (٢٠٠٧ م) .

٥٨ ــ **معالم التنزيل** : البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت ٥١٠ هــ) ، دار المعرفة ، بيروت ، تحـــ : خالد عبد الرحمن العط ، (د . ط) ، (د . ت) .

٥٩ ــ **معاني القرآن** : الأخفش الأوسط ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـــ) ، تحـــ : د . هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، (١٤١١ هــ ــ ١٩٩٠ م) .

٦٠ ــ **معاني القرآن وإعرابه** : الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السَّرِّي (ت ٣١١ هــ) ، تحـــ : د . عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة،(د . ط) ، (١٤٢٦ هــ ــ ٢٠٠٥ م) .

٦١ ــ **معجم الأوزان الصرفية** : الدكتور أميل بديع يعقوب ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، (١٤١٦ هــ ــ ١٩٩٦ م) .

٦٢ ــ **معجم المؤلفين** : عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، بيروت ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

٦٣ ــ **معجم مقاييس اللغة** : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هــ) ، تحــ : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هــ ــ ١٩٩٩ م) .

٦٤ ــ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : الأنصاري ،جمال الدين ابن هشام (ت٧٦١هــ) ، تحــ : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٦ ، (١٤٠٥ هــ ــ ١٩٨٥ م) .

٦٥ ــ **مفردات ألفاظ القرآن** : الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هــ) ، تحــ : صفوان عدنان داوودي ، (دار القلم ــ دمشق) ، (الدار الشامية ــ بيروت) ، ط ١ ، (١٤١٦ هــ ــ ١٩٩٦ م) .

٦٦ ــ **مقدمة في أصول التفسير** : ابن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨ هــ) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، تحــ : محمود محمد محمود نصّار ، دار التربية ، مكتبة التراث الاسلامي ، (د . ط) ، (د . ت) .

٦٧ ــ **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب** : أمين الخولي ، دار المعرفة ، ط ١ ، (١٩٦١ م) .

٦٨ ــ **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور** : **البقاعي** ، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هــ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، (١٤١٥ هــ ــ ١٩٩٥ م) .

٦٩ ــ **الوجيز في تفسير القرآن العزيز** : الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هــ) ، تحــ : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤١٥ هــ) .

ثالثاً ـ البحوث المنشورة :

ــ **دلالة التراكيب في سورة الكهف من خلال تفسير الجلالين** للدكتور ماهر جاسم حسن الأومريّ ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، مــج (٦) ، ع (١) ، تشرين الثاني (٢٠٠٧ م) .